الفصل الرابع
كُنْ مُستَعِدًا دائمًا

من أهم الاسئلة التي يجب أن تسألها لنفسك إذا هل أنت مستعد فعلا في أي لحظة للمغادرة؟ نعم. هل أنت مستعد للموت في أي لحظة ؟إنه سؤال عظيم لا يسهل الرد عليه فكما قال الدكتور راتب النابلسي في إحدى محاضرته المؤثرة عن الموت أن الصفة التي ينبغي أن يتصف بها المؤمن اليوم: تذكُّرُ الموت، وهي صفة مستمرة، في القرآن الكريم ما يزيد على ست وخمسين آية متعلقة بالموت، فماذا قال عليه الصلاة والسلام بشأن الموت؟.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ـصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ (أخرجه ابن ماجه في سننه)

أكيس الناس؛ أي أذكى الناس، الأكياس: العقلاء الأذكياء، ذهبوا بشرف الدنيا، وكرامة الآخرة، أي ما من إنسان على وجه

الأرض أعقل ممن يذكر الموت دائمًا؛ لأنه ما من حدث أشد واقعية من الموت، لا ينجو منه أحد.

كل مخ ـ لوق يم ـ وت، ولا يبقى إلا الله.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وسلم : إذا مات أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيًّا، إِمَّا النَّارُ وَإِمَّا الْجَنَّةُ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ . رواه البخاري

فو الذي نفس محمد بيده، ما بعد الدنيا من جار إلا الجنة أو النار.

فلا تهرب من حقيقة الدنيا وهي إنها فانية لا باقية أعرف انه كأسا يذوقه الجميع فيجب أن تتذكر، وتتساءل دوما لماذا تكره الناس ذكر الموت؟ وهو الحقيقة الباقية التي يجب أن تستعد لها ويجب أن تسأل نفسك كل يوم هل أنا مستعد؟!

بالطبع مهما فعلنا لن نكون مستعدين أتم الاستعداد الذي نريده فإذا كنت في عمل، وكنت ترتقي في هذا العمل وأسألك هل أنت مستعد للتقاعد الآن؟ ستقول لا، بل أريد أن ارتقي أكثر لأصل إلى منزلة أكبر فهذا شيء جميل أن تريد الارتقاء في كل شيء، ولكن على الأقل كن مستعد للحظة التي تمر عليك.

الان تخيل لو أنك عرفت إنك سوف تموت غدا ماذا كنت لتفعل كنت ستقوم لتصلي وتستغفر عن ذنوبك وتذهب سريعا لمن ظلمت وتقول له سامحني، وترد ما عليك لأهل الحق، وتتصل بصديقك الذي قاطعته لتكلمه وأخيك الذي مر عليك شهور ولا تعلم عنه شيء، وتسامح من أذاك وتعفو لكي يعفو الله عنك فكر ماذا كنت لتفعل أيضًا اخذ زوجتى في حضني، واطلب منها أن تسامحنى على الاوقات التي ظلمتها فيها تعصبي عليها وانت ستذهب لوالدك الذي شاحنته لأجل مال، أو امك الذي أغضبتها لأجل زوجة، أو أي شيء خطأ فعلته سوف تحاول تصحيحه هذه هي الحقيقة إذا اذا كنت ستفعل كل هذا، واكثر لكي تقابل ربك بلا ذنب، ولا مشاحنة، ولا عقوق والدين، ولا قطيعة رحم لكي تقابل ربك بقلب سليم قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ أَعُوذُ﴾ (سورة الشعراء)

القلب السليم رأس مالك في الآخرة، كل مشكلات الدنيا تنتهي عند الموت، كل الأمراض تنتهي عند الموت، كل المصائب تنتهي عند الموت، كل الفجائع تنتهي عند الموت، كل شيء مؤلم ينتهي عند الموت، ولكن أمراض القلب تبدأ عند الموت، مشكلات الدنيا تنتهي عند الموت، والدنيا محدودة لكن مشكلات القلب تبدأ عند الموت وما بعد الموت إلى أبد الأبدين، هذه الآية أيها الأخوة، والله لو لم يكن في

كتاب الله إلا هذه الآية لكفت: قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة الشعراء).

الناس يتهافتون على كسب الأموال، وعلى تربية الأولاد تربيةً دنيوية من أجل أن يفتخروا بهم، ومن أجل أن يعلو في الأرض، والله (ﷻ) يخبرنا أنه في هذا اليوم: القلب السليم سبب سعادتك الأبدية، القلب السليم سبب نجاتك من النار، القلب السليم ثمن دخول الجنة.

كيف يكون القلب سليمًا؟ القلب فيه أحقاد، فيه حسد، فيه بغي، فيه استعلاء، فيه غطرسة، فيه تجبر، فيه لؤم، فيه أنانية، فيه قذارة أحيانًا، فيه نفاق، أمراض القلب مهلكة تبدأ عند الموت، وتُشْقي صاحبها إلى أبد الآبدين، بينما أمراض الجسم تنتهي عند الموتَ. . إنسان مؤمن أصيب بمرض خبيث، سنة، أو سنتين انتهى، لقي الله (ﷻ) والله عنه راض، هذا المرض الوبيل الذي ترتعد له فرائص الناس، ألَمَّ به وعند ألموت انتهى منه، بقي في جنة عرضها السماوات، والأرض، المؤمن قد يفتقر، والفقر ينتهي عندً الموت، المؤمن قد يتألَّم، قد تأتيه مصيبة، كل مصائب الدنيا تنتهي عند الموت، إلا أمراض القلب تبدأ عند الموت، وتُشْقي صاحبها إلى أبد الآبدين، إذا كن مستعد دائما لجعل هذا القلب سليم بأن تتذكر دائما أن دينك ليس صلاة، وصوم فقط بل معاملة فالدين المعاملة كن على خلق يصبح قلبك سليم كن طيب اللسان يكن قلبك سليم .

اطب مطعمك، ومشربك حافظ على بيتك ليكون بيتا مسلما حقا تجعل قلبك سليم انم، وانت ليس في قلبك غلا على احد يكن قلبك سليم، انزع من قلبك المحرمات وادخل حب الحلال، وحب الله ورسوله يكن قلبك سليم.

إذا فعلت كل هذا وسألت نفسك هل انا قلبي سليم وليس مريض! بالذنوب، والمحرمات إذا كنت قد نقيت قلبك اصبح قلبك سليم عندها سوف تكون مستعد اتم الاستعداد

أن يكون هذا القلب طاهراً من الحقد، من الحسد، من البَغْي، من العدوان، من حب الذات، أعظم ما في الأنبياء هذه الأخلاق العالية! التي هي انعكاسٌ لقلبهم السليم، قلب سليم، ما فيه استعلاء على أحد، لذلك اقول لك ضعها في فكرك، وانت في عملك كن مستعد دائما وانت في بيتك كن مستعد دائما حتى وان كنت في نزهة مع اولادك كن مستعدا دائما.

وانت أيتها الأم إنها لأعظم رسالة أن تربي اولادك على طاعة الله، وانت بمقَام المجاهد في مراعاة منزلك، وأولادك وزوجك فكوني مستعَدة دائما بجعل قلبك سليم فابعدي عن الغيبة، والنميمة لاتضيعى حسناتك كوني دائما بقلبا سليم، ولا تنسي أن رسولنا الكريم كان خلقه القرأن فكوني على خلق وعَلم أولادك في هذا الزمان أن الخلق الكريم هو المكسب الحقيقي في حياتَك.

فكوني مستعدة دائما.

من هذا الذي يستطيع أن يجادل في الموت، وسكرته؟ وأي مخاصمة في القبر، وضمته؟ ومن يقدر على تأخير موته وتأجيل ساعته؟

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة الأعراف).

لمَ يتكبر الإنسان، وسوف تأكله الديدان؟ لمَ يطغى وفي التراب سيلقى؟ لِمَ يسوف، ويعلم أن الموت يأتي بغتة؟ والقبر صندوق العمل.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ . . .﴿٥٧﴾﴾ (سورة العنكبوت).

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة الرحمن).

كل شيء هالك إلا وجهه.

قال الله تعالى: ﴿. . . لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (سورة القصص).

لموت انفصال النفس عن الجسد فقط، والانتقال من دار إلى دار، من دار التكليف إلى دار الجزاء، ومن دار الضيق إلى دار السعة، لذلك

عند الموت تنقطع التوبة، والإمهال، يقول عليه الصلاة، والسلام في الحديث الصحيح عَن ابْن عُمَرَ عَن النَّبيِّ ـصلى الله عليه وسلم ـ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ (الترمذي عن ابن عمر)

فإذا غرغر انقطعت التوبة.

بل أن الموت أيها الأخوة من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى في كتابه مصيبة، فقال تعالى: ﴿ . . .فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ . . .﴿١٠٦﴾﴾ (سورة المائدة).

فإذا كان العبد طائعًا، ونزل به الموت لزم إلا يكون ازداد في طاعته، ولا يندم المؤمن بعد موته إلا على ساعة مضت دون أن يذكر الله فيها.

قال مر النبي – صلى الله عليه وسلم على قبر دفن حديثا، فقال ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزدهما هذا في عمله، أحب إليه من بقية دنياكم

(ابن المبارك عن أبي هريرة حديث غريب حسن.

وإذا كان مسيئًا يزداد ألمًا، ويتمنى أن يعود إلى الأرض ليتوب إلى الله، ويعمل صالحًا، يقول: أرجعوني لعلي أعمل صالحًا.

ذكر الموت للفقير يرضيه بفقره، وذكر الموت للغني يزهده بغناه، والإكثار من ذكر الموت الأمر منصب لا على ذكر الموت بل أن تكثر من ذكر الموت، الإكثار من ذكر الموت يرغب في الآخرة، ويدعو إلى الطاعة، الإكثار من ذكر الموت يهون على العبد مصائب الدنيا.

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم.

من هو أسعد الناس في الأرض؟ الذي يأتيه الموت وهو مستعد له بتوبة صادقة، وبطاعة تامة، وبإنفاق الأموال، وبتربية أولاده، وبضبط عمله قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ . . . ﴿٧٧﴾﴾ (سورة القصص).

ما الذي تأخذه من الدنيا عند الموت؟ قال: الكفن فقط، وبلا جيوب، ليس هناك محل لوضع شيكات في الجيب أبدًا، من أرخص أنواع الأقمشة دون خياطة، هذا هو النصيب من الدنيا ينبغي أن نستعد للموت وسكرته، وللقبر وضمته، ولمنكر ونكير، وللقاء العلي القدير بيته.

هذه هي الحقيقة كن مستعدًا دائمًا.

فالموت هي الحقيقة الغائبة معنى هذا ألا تعيش جيدا لا تفائل، وعش كما تريد في ظلال الله، ولكن لا تنسى إنك في يوم سوف تقابل

الله سبحانه، وتعالى سوف تسأل عن كل عمل عملته عن كل كلمة تقولها كم من مديرين، ومن أشخاص يأذوا من حولهم في مقابل أن ينجز عمله؟! ويقول المهم أن انجز عملي المهم أن تعلو شركتي ولكن على حساب ماذا على حساب الموظفين الذين يعملون عندك.

هل اتقيت الله، وعرفت إنك سوف تحاسب على كل من عمل معك؟! على كل من جرحته بكلماتك اسأل الله التوبة، وإذا ظلمت أحد رد هذا الظلم استغفر ربك إنه هو الغفور الرحيم؛ لأنك يجب أن تكون مستعداً دائما اسأل نفسك قبل أن تنام هل أديت ما عليك من فروض، وحقوق لا تتوقف اعرف إنك ذاهب، واعمل لهذا اليوم دائمًا.

إنها الحقيقة فكن مستعداً دائمًا